

تجديد مناهج فهم القرآن ، هل هو حتمية ؟

الدكتور : فاتح حليمي ، كلية أصول الدين ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، الجزائر .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى و الصلاة و السلام على النبي المصطفى .. و بعد

منذ أكثر من ألف و أربعمئة سنة ، اقتضت مقادير الله و حكمته انتقال عاصمة الوحي الإلهي من بيت المقدس إلى مكة المكرمة ، إيذانا منه ببداية رسالة جديدة انبثقت أنوارها الإلهية الأولى في غار حراء ، معلنة انتقال مقاليد الوحي الإلهي الخالد و الخاتم - القرآن الكريم - من بني إسرائيل إلى العرب ، و تشكلت بذلك أمة جديدة حاملة لراية التوحيد النقية ، و تبغى إيصال الهدى الإلهي للإنسانية جمعاء ، و إن المتتبع للمنحنى البياني لتطور الأمة الإسلامية و لحضارتها ، يجده بين صعود و هبوط ، و للإنصاف فانه يمكن القول أن هذه الأمة ظلت لقرون عديدة و هي القوة العالمية الأولى و المسيطرة على مقاليد الأمور ، حيث تمكن القرآن فعلا من إحياء نفوس المسلمين الأولين ، و أعلى همهم و أخلاقهم ، و أرشدهم إلى الانتفاع بقوى الكون و منافعه ، و كان من وراء ذلك أن مهروا في العلوم و الفنون و الصناعات ، كما مهروا في الأخلاق و الآداب و الإصلاح و الإرشاد¹ ، و سادوا البشرية به زمتا طويلا ، و لكن الناظر إليها حاليا يجد أنها تعاني من حالة من الضعف و التمزق و كثير من الأزمات و المشاكل ، و على مختلف الجوانب و الأصعدة منها السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية ، و حتى الدينية ، و هو ما يفرض - في نظرنا - على الخيرين من المسلمين العمل على تجاوز كل هذه الأزمات و النهوض بالأمة، و للوهلة الأولى تتجلى أهمية العودة إلى القرآن الكريم باعتباره المعين الإلهي الصافي ، ذلك أنه يشكل الوحي الخالد للإنسانية جمعاء ، غير أننا نجد أنفسنا كباحثين أمام مسألة " تجديد مناهج فهم القرآن الكريم " ، و

¹ عبد الله شحاتة (دكتور) ، علوم التفسير ، ط 1 ، دار الشروق ، 2001 ، ص 8 .

التي يرفضها تيار فكري بشكل مطلق ، فيما يرى تيار آخر قبولها و الاحتفاء بها ، فما الحل يا ترى ؟.

1 - مفهوم التجديد :

بداية أود الإشارة إلى أنني سأتجاوز مسألة ضبط و تحديد المصطلحات الواردة في البحث ، لأن المقام لا يتسع لها ،ناهيك على أنها لا تخفى على كثير من الباحثين ، غير أنني أشير و بعجالة إلى مصطلح التجديد في علم التفسير ، لأبين على أنني لا أقصد تبني رأي أولئك المغالين في موضوع التجديد ، و الذين وصل بهم الشطط إلى طرح بدائل غريبة ، و من ذلك القائلين بإعادة ترتيب آيات القرآن الكريم حتى يفهم بشكل صحيح¹ ، و لكنني أعني به تقديم كتاب الله - و هو الوحي الإلهي الخالد للبشرية - بشكل يواكب حاجات الناس و يتلاءم مع متطلبات العصر ، حتى " لا يغدو التفسير حبيس الأوراق والكتب وإنما ينطلق لإصلاح واقع الناس وتلبية حاجاتهم الدينية والنفسية " ² ، و يصير هاديا للمسلمين ، بل و للبشرية جمعاء ، قال - سبحانه -: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ³.

2- أدوار و مناهج التفسير :

قسم بعض الباحثين الأدوار التي مر بها علم التفسير إلى أدوار عديدة ، منها النشأة و النمو ، و ذلك من بداية البعثة المحمدية و إلى غاية سنة 100هـ، ثم الدور الثاني ، و هو دور النضج و الكمال ، و الذي يمتد من سنة 100هـ ، مستمرا إلى سنة 350هـ ، و بعدها يأتي دور التقليد و الجمود ، و الذي يمتد من سنة 350هـ ، و يستمر إلى غاية سنة 1286

1 منهم محمد شحور من خلال كتابه (الكتاب و القرآن - قراءة معاصرة) .

2 جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد في التفسير ، مادة و منهاجا ، ص4

3 الأعراف : 158

هـ ، و أخيراً دور النهضة ، و الذي بدأ من سنة 1286 هـ ، و استمر إلى الوقت الحاضر¹ ، و قد برزت مدرستان كبيرتان ، إحداهما تسمى مدرسة الأثر ، و الثانية تدعى مدرسة الرأي ، كما استخدم المفسرون مناهج شتى ، منها التحليلي و الإجمالي و المقارن و الموضوعي ، مع اتجاهات عديدة .

لقد فسر المسلمون في القرون الثلاثة الأولى القرآن بالقرآن ، ثم فسروه بالسنة ، (هناك من يفرق بين تفسير القرآن بالسنة و التفسير النبوي منهم و الدكتور مساعد الطيار)² ، ثم استعانوا بأقوال الصحابة ، فالتابعين ، و هو ما سمي بعدها بالتفسير بالمأثور ، ثم استعان المفسرون بعلوم و معارف أخرى لتفسير كتاب الله ، مثل استعانتهم بالقواعد الأصولية لاستنباط الأحكام الشرعية ، و مقاصد الشريعة ، و علوم النحو و البلاغة ، و غيرها من المعارف ، و هو ما يسمى بالتفسير بالرأي .

و الملاحظ أن التفسير في القديم اتخذ شكلاً واحداً عند جميع المفسرين السابقين ، وهو ما يسمى في الوقت الحالي بالتفسير التحليلي³ ، و قد ألفوا فيه بشكل كبير ، و الشاهد على ذلك الكم الهائل من المؤلفات الموجودة بالمكتبات ، و بعدها اضطر بعض المفسرين إلى تقديم معاني إجمالية لكتاب الله تعالى ، و هو ما يسمى بالتفسير الإجمالي ، و هناك التفسير المقارن ، و الذي يعتمد فيه المفسر إلى إجراء بعض المقارنات لمواضيع معينة ، ثم انتهى أغلبية المفسرين إلى انتهاج التفسير الموضوعي ، حيث استحوذ على اهتمام كبير، إلى درجة أن " التفسير المعهود الذي يبدأ من سورة الفاتحة ويسير خطياً إلى سورة الناس خاتمة القرآن الكريم،

1 عبد الله شحاتة (دكتور) ، علوم التفسير ، ص 27 .

2 الطيار مساعد (دكتور) ، مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ، دار المحدث ، السعودية ، ط 1 ، 1425 هـ ، ص 138 .

3 جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد في التفسير ، مادة و منهاجا ، ص 9

قلّ الاهتمام به، وأصبح الباحثون في علم التفسير مهتمين بشكل كامل تقريباً بالتفسير الموضوعي¹.

لقد بدأ هذا النمط من التفسير مبكراً في تاريخ الإسلام، حيث كتب الجاحظ عن النار في القرآن الكريم، ثم كتب ابن تيمية رسالة عن لفظة "السنة" في القرآن الكريم، وغيرهم، وبالرغم من كل تلك الجهود، إلا أن المنهج لم يكن واضحاً إلى درجة يمكن فيها التقييد العلمي له، ولهذا لا نجد من بين كل الذين كتبوا في التفسير من نظر لهذا المنهج وقعد له، وحتى في بداية القرن الماضي عندما كتب محمد عبده تفسير جزء عم، ثم تفسير المنار مستخدماً تقنيات التفسير الموضوعي، و لكن دون أن يقعد بشكل علمي لهذا المنهج².

و في القرن الماضي برزت ظاهرة جديدة، و المتمثلة في استخدام مناهج غربية في العلوم الإنسانية لتفسير القرآن الكريم، من قبل غربيين و مسلمين، حيث بدأت الظاهرة سنة 1950م، عندما ألف المستشرق (الياباني توشيهيكو ايزوتسو)، كتابه المعنون بـ(بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن) باللغة الإنكليزية، مستخدماً المناهج اللسانية وعلم الدلالة وعلم العلامات السيميائية، وما تزال هذه الظاهرة مستمرة، حيث كتب بعض المستشرقين الفرنسيين (آلارد وآخرين) دراسات طبقوا فيها علم الدلالة اللساني في كتاب (تحليل مفهومي للقرآن)، سنة 1963م.

ثم انتقلت التجربة إلى العالم العربي و الإسلامي، حيث تعد دراسة المفكر السوداني محمد أبو القاسم حاج حمد (العالمية الإسلامية الثانية)، سنة 1979م "أول هذه التطبيقات، ثم

¹ عبد الرحمن الحاج إبراهيم، المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، رسالة المسجد، العدد الأول، جمادى الثانية 1424هـ/ أوت 2003م، ص5.

² عبد الرحمن الحاج إبراهيم، المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، ص6.

تلتها دراسة المهندس السوري محمد شحور (الكتاب والقرآن) ، سنة 1990م ، حيث " تحولت (القراءة المعاصرة) للقرآن منذ ذلك الوقت إلى ظاهرة واضحة ومتكررة " ¹ .
و تجدر الإشارة إلى أن المناهج الغربية الحديثة التي استخدمت لتأويل القرآن لم تقتصر على اللسانيات فقط ، و إنما اعتمدت كذلك على المنهج التاريخاني ، و من أشهر الذين اشتغلوا به المفكر محمد أركون² منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي ، و بعده حامد أبو زيد في فترة التسعينات من القرن الماضي .

3 – الموقف من التجديد :

سبقت الإشارة إلى وجود رأيين بشأن موضوع التجديد، و لكل منهما أدلته ، و سنعرض لهما بإجمال فيما يلي :

أ- الرأي الأول :

إن هذا التيار ذو اتجاه تقليدي محافظ ، يرفض بتاتا موضوع تجديد مناهج فهم القرآن ، و يرى الاكتفاء بما ورد في التراث الإسلامي ، و يعد ذلك من صميم تعاليم الدين و الالتزام بها ، و من جهة أخرى يعتبر التجديد في علم التفسير ضرب من الابتداع ، و التعدي على الشريعة ، و لذلك فهو يقف منه موقف الخصومة ، و لذلك فان بعض الباحثين يرى أن " السمة التي تميز هذه المرحلة (المعاصرة) هي ظهور مناهج وافدة لأول مرة في تاريخ الإسلام لتفسير كتابه الأشرف القرآن الكريم، وهي بقدر ما تبدو ظاهرة غريبة، تبدو أيضاً خطيرة " ³ ، و يؤكد ذلك رأي آخر ، حيث يرفض صاحبه مسألة التجديد ، و كتب في ذلك بحثا بقصد " بيان المراد بالتجديد الوارد في بعض الأحاديث ، قصدت به التحذير مما يبش به بعض المنحرفين من أفكار

¹ المرجع نفسه ، ص12 .

² عبد الرحمن الحاج إبراهيم ، المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، ص12 .

³ المرجع نفسه ، ص5 .

غريبة عن الإسلام و أحكامه ، لم يقل بها أحد من أئمة المسلمين من سلف الأمة و خلفها ، زاعمين أنها من الإسلام ، مستغلين اسم التجديد الوارد في السنة النبوية ، و ما أفكارهم هذه بتجديد ، و إنما هي تهديم لأحكام الدين ، و تخريب لقواعده و أصوله ، و تشويش لأفكار المسلمين و تطويع للإسلام و نظمه كي يتقبل الأنظمة الدخيلة باسم الإسلام الجديد ، و الدعوة إلى مثل هذا التجديد في أفكار الإسلام و أصوله دعوة خطيرة جدا ، .. إذ أنها دعوة لهدم الإسلام ، و التفتت من أحكامه و نظمه ، و الثورة على تراثه الفقهي "1 .

أ- الرأي الثاني :

أما أصحاب الرأي الثاني من المفسرين ، فقد وجدوا أنفسهم أمام مواضيع جديدة و قضايا طارئة على المجتمعات ، كالحرية و المواطنة و حرية المعتقد ، و لم تجد إجابات شافية ، ذلك أن أغلب المسلمين " اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها ، و أنغام يلحنونها في المآتم و المقابر و الدور ، و بمصاحف يحملونها أو يودعونها بركة في البيوت ، و نسوا أن بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبره و فهمه ، و في الجلوس إليه و الاستفادة من هديه ، ثم في الوقوف عند أوامره و مرضيه ، و البعد عن مساخطه و نواهيه "2 ، و لذلك فإنهم تبنا خيار التجديد في علم التفسير ، بقصد المحاولة الجادة للإجابة عن التساؤلات المطروحة .

ج- الترجيح :

يتضح لنا مما سبق عرضه أننا أمام موضوع بالغ التعقيد و الحساسية ، لأنه يتعلق بالقرآن الكريم ، و هو الوحي الإلهي الخالد و الخاتم ، و لذلك أرى أن تتسم مداخلتنا بالهدوء و الروية ، خاصة و أننا في منبر جامعي أكاديمي ، و أن تتميز دراساتنا بالدقة و الموضوعية و العلمية ، مع الابتعاد قدر الإمكان عن الذاتية و العاطفية و الأحكام المسبقة ، قصد محاولة

1 محمود الطحان (دكتور) ، مفهوم التجديد بين السنة النبوية و أدعياء التجديد ، ط ، مكتبة دار التراث ، الكويت ، 1986 ، ص 1 .

2 عبد الله شحاتة (دكتور) ، علوم التفسير ، ص 7 .

الإحاطة بالموضوع و من ثم تقديم إجابات علمية شافية ، تركز على الدليل و الحجة ، و هو منهج قرآني خالص ، و لذلك سنقدم للموضوع بمقدمات علمية ، لنتهي إلى الترجيح بين الرأيين :

1- إن الدارس للتاريخ و الحضارات الإنسانية ، يقف على حقيقة ثابتة ، و هي أنها تتأثر فيما بينها ، سلبا و إيجابا ، بل و في كثير من الحالات تتلاقح فكريا ، و الحضارة الإسلامية ليست بدعا في ذلك فقد حصل تأثير و تأثر مع الثقافات و الحضارات الأخرى ، و منها ما حصل بين الثقافتين اليونانية و الإسلامية ، ففي الجانب الأول نلاحظ الآتي :

أ- أثبتت الأبحاث العلمية و الدراسات التاريخية أن الحضارة الإسلامية و خلال اتصالها بالحضارات الأخرى ، قد استفادت من كثير منها ، بدليل أنها استوعبت بعض مناهجها ووظفتها للدفاع عن الإسلام و تعاليمه أمام المعتقدات الأخرى ، و من ذلك الحضارة اليونانية التي تأثروا بها ، إلى درجة أن الباحثين المسلمين " قد تناقلوا الأفكار الفلسفية لأفلاطون و أرسطو (427-347 ق م) (384-322 ق م) " ¹ ، و استفادوا منها في ضبط مقولات علم الكلام ، و ذلك بعد أن " وصلت الفلسفة اليونانية إذن إلى المسلمين ، بطريقة أو بأخرى ، بعد فتوحات الاسكندر إلى الهند و فارس فأثرت في الفلسفة الإسلامية تأثيرا بالغاً ، ذلك أن الموضوعات التي طرقها و بحثها المسلمون كانت هي التي أثارها و ناقشها و عاشها اليونانيون ، لكن لا ينبغي أن يفهم من هذا أن الفلسفة الإسلامية كانت تابعة في كل ما أتت به لليونانيين " ² ، بدليل أن المسلمين وظفوها للدفاع عن العقيدة الإسلامية أمام الملل و النحل الأخرى ، فخلال عهد الخليفة خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ) التفت المسلمون إلى

¹ عصام الدين محمد علي (دكتور) ، بواكير الثقافة الإسلامية و حركة النقل و الترجمة ، من أواخر القرن الأول حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1986 ، ص 3 .

² فيصل بدير عون (دكتور) ، علم الكلام و مدارسه ، ص 29 .

دراسة التراث العلمي للأمم الأخرى فيما يشبه انتفاضة علمية ، فقاموا بترجمة كتب الطب و الكيمياء ، كما استقدموا فلاسفة من اليونان بقصد ترجمة كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية ، للاطلاع عليها و الاستفادة منها ، و الملاحظ أن حركة نقل المعارف و الترجمة قد شهدت ازدهارا كبيرا في العصر العباسي ، و خاصة خلال عهد الخليفة المأمون (198 - 218 هـ) ، إذ ترجمت كتب الفلسفة اليونانية عن طريق السريانية إلى العربية¹ ، و تعرف المسلمون على قواعد المنطق الأرسطي ، و استفادوا منها في صياغة بعض مقولات علم الكلام انتصارا للعقيدة الإسلامية .

ب - كما أكدت الأبحاث تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارات الأخرى ، و قد شهد بذلك الخصوم ، منهم المستشرقون ، و الذين أكدوا مسألة تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب ، حيث أشاروا إلى " المؤثرات الإسلامية في (الكوميديا الإلهية) لدانتي ، أو في أثر الموشحة العربية الأندلسية في الشعر الغنائي الأوروبي ، أو تأثير آراء ابن سينا في الفلسفة الغربية في أوائل عصر الإحياء "² ، ففي " الوقت الذي بدأت سماء الفكر العربي تغرب شمسها رويدا رويدا ، التقط الغرب الجذور الإسلامية العربية الأصيلة و راح رجاله يوالونها بالعبادة و الرعاية - بدءا من القرن العاشر الميلادي - حتى أينعت و أزهرت حضارة أصبح المسلمون يتطلعون إليها في عجب و دهول "³ ، و من الذين شهدوا كذلك البروفيسور الأمريكي Guyler (Young) في مقال له عن (أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي) ، حيث قال " : هذا عرض تاريخي قصد به التذكير بالدين الثقافي العظيم الذي ندين به للإسلام منذ أن كنا

¹ عصام الدين محمد علي (دكتور) ، بواكير الثقافة الإسلامية و حركة النقل و الترجمة ، ص 5.

² عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، د . ط ، نضرة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2002 ، ص 4.

³ عصام الدين محمد علي (دكتور) ، بواكير الثقافة الإسلامية و حركة النقل و الترجمة ، ص 6.

نحن المسيحيين- داخل هذه الألف سنة - نساfer إلى العواصم الإسلامية و إلى المعلمين المسلمين ندرس عليهم العلوم و الفنون و فلسفة الحياة الإنسانية¹ ، و جدير بالذكر أن منظمة اليونسكو قد أقرت في دورتها الثانية عشرة " مشروع دراسة بعنوان أثر العرب و الحضارة الإسلامية في النهضة الأوروبية ، في مجالات محددة هي الأدب و الفلسفة و العلوم الطبيعية و الطب و الجغرافيا و المعارف الملاحية و التاريخ و العمارة و التحف الفنية و الموسيقى"² ، و هو المشروع الذي التزم فيه الباحثون بعرض منجزات الحضارة العربية الإسلامية في المواضيع السابقة ، و أشاروا خلالها إلى المعابر التي انتقلت من خلالها إلى أوروبا ، بالإضافة إلى تحديد مواطن تأثر العلماء و المفكرين الأوروبيين بها .

و بذلك يتبين لنا أن سنة الله تعالى في مسار الأمم والحضارات هي سنة الدوران ، و التي تتداول فيها الأمم والحضارات فترات وحقب التقدم والتراجع ، والصعود والهبوط، والنهوض والركود، والحياة والموت³، وهي السنة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى (وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين)⁴ ، وقال تعالى : (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)⁵ ، وقال سبحانه (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)⁶ .

2- لقد عني المسلمون الأولون بالقرآن الكريم " قراءة و فهما و دراسة و حفظا و علما و عملا ، فكان القرآن كتاب حياة ووجود ، اتبعوا أحكامه و نفذوا أوامره ، و أحلوا حلاله و

¹ نقلا عن : عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص 5.

² عباس محمود العقاد ، أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، د . ط ، نخصة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2002 ، ص 6-7.

³ جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد في التفسير ، مادة و منهاجا ، ص3

⁴ آل عمران : 140

⁵ محمد : 38

⁶ البقرة : 251

حرموا حرامه ، فكانوا سادة الدنيا و أساتذة العالمين ¹ ، و لو أننا تتبعنا بالدراسة " رحلة المفسرين عبر العصور ، لرأينا علماء كل عصر أضافوا من خلال معارفهم و كسبهم العلمي الجديد إلى التفسير ، حيث ظهرت لهم دلالات جديدة لآيات القرآن كشف عنها التقدم العلمي و معطيات الحضارة المتجددة " ² ، ففي القرن الثاني الهجري ، وصلنا أول تفسير لمقاتل بن سليمان البلخي (ت 150 هـ) ، أما في القرن الثالث ، فقد برز فيه الفراء (ت 207 هـ) ، وأبو عبيدة (ت 209 هـ) ، وعبد الرزاق الصنعاني (ت 211 هـ) ، والأخفش (ت 215 هـ) ، و الذين أحدثوا نقلة جديدة في علم التفسير لم يسبقوا إليها حيث بدأت بذور الدراسات النحوية في التفسير تنمو وبتسارع شديد على أيدي هؤلاء الثلاثة ، و في القرن الرابع ، برز الإمام الطبري (ت 310 هـ) ، والزجاج (ت 311 هـ) ، والجصاص الحنفي (ت 370 هـ) ، والسمرقندي أبو الليث (ت 373 هـ) ، و قد أحدثوا نقلة في التفسير فأما الطبري فقد جمع روايات التفسير بأسانيدھا ووازن بينها وأخذ يرجح ما كان راجحاً ، و يضيف ما يراه لازماً ، وأما الجصاص فقد قصر التفسير على آيات الأحكام ، وأما السمرقندي فأنقل ما تقدمه من الأقاويل مع حذف أسانيدھا على خلاف ما جرى عند الإمام الطبري رحمه الله تعالى ، و في القرن الخامس ، برز الإمام القشيري (ت 465 هـ) حيث فسر القرآن الكريم كاملاً ً على منهاج الاعتدال الصوفي . ، من خلال كتابه لطائف الإشارات ³ ، و في القرن السادس ، برز الزمخشري (ت 538 هـ) ، حيث أبدع في التفسير البلاغي للقرآن الكريم ، وابن عطية (ت 542 هـ) ، ثم جاء ابن العربي المالكي (ت 543 هـ) ، و في القرن السابع ، برز الرازي (ت 606 هـ) ، و الذي أحدث نقلة نوعية في التفسير بما جمعه من مستحدثات العلوم في زمانه ، وابن جزري المالكي (ت 620 هـ) ، والقرطبي (

1 عبد الله شحاتة (دكتور) ، علوم التفسير ، ط 1 ، دار الشروق ، 2001 ، ص 26 .

2 محمد الغزالي ، كيف تتعامل مع القرآن ، ص 204 .

3 جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد في التفسير ، مادة و منهاجا ، ص 12

ت 671 هـ) ، و الذي قدم تفسيراً موسوعياً للقرآن الكريم ، و في القرن الثامن ، برز أبو حيان الأندلسي (745 هـ) ، و في القرن التاسع ، برز الفيروز أبادي (ت 817 هـ) ، و في القرن العاشر ، برز السيوطي (ت 911 هـ) ، بكتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور حيث يعد هذا الكتاب أوسع كتاب ضم آراء المتقدمين من السلف في التفسير¹ ، و في القرن الثاني عشر ، برز الألوسي (ت 1270 هـ) ، بكتابه روح المعاني ، وكل هؤلاء المفسرين أصحاب إضافات نوعية أو شكلية في التفسير ، سواء أكانت هذه الإضافات إيجابية أم سلبية .

3- لا يوجد دليل شرعي يمنع التجديد ، ذلك أنه لو كان التفسير لا يجوز فيه الاجتهاد عبر القرون، لكان " مما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتركه نخباً للأقوايل . ولا أدل على بطلان القول بمنع قبول التفسير الجديد من مخالفة جميع المفسرين في تفاسيرهم له"².

4- لقد تمت الإشارة إلى استخدام مناهج العلوم الإنسانية الغربية في علم التفسير ، سواء من قبل الغربيين أو المسلمين ، و من هؤلاء المستشرق (الياباني توشيهيكو ايزوتسو) الذي حاول في دراسته و الموسومة بـ(بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن) أن يلحظ خصوصية القرآن ولغته التي تشير إلى المصدر الإلهي ، ولذلك حاول " أن يطوِّع النظريات اللسانية لتحليل القرآن الكريم؛ بهدف الكشف عن نظريته الكلية للكون والحياة والإنسان، .. و في الختام خلص هذا المستشرق إلى تصور لأكثر من 103 مفاهيم عقدية في القرآن تكاد تطابق ما عليه جمهور المسلمين، حتى يبدو أن كاتب هذه الدراسة هو واحد من المسلمين، .. وبالتالي استطاع في دراسته أن يكون موضوعياً حيادياً، ومن جهة ثانية درس ايزوتسو اللغة العربية لمدة عامين كاملين في البلاد العربية لهذه الغاية، وحاول تفهم وجهة نظر المسلمين؛ ما سمح له أن يقترب أكثر من الموضوعية. إن الشيء الأكثر أهمية في دراسة ايزوتسو أنها تثبت أن

¹ جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد في التفسير ، مادة و منهاجا ، ص13

² المرجع نفسه ، ص7

الدراسة اللسانية للقرآن ليست دوماً ضد القرآن على النحو الذي سنشده في التطبيقات العربية للسانيات على القرآن"¹.

و مما سبق عرضه و بيانه يتجلى لنا أن التجديد بشكل عام يعد مطلباً ملحا من متطلبات الحياة، وبابا من أبواب استمرارها ، و لأجل " هذا كان التجديد سنة مطردة وقانوناً لازماً في مسار الحضارة الإسلامية يقودها إلى النهوض بعد كل ركود "² ، و لذلك فان التجديد في مناهج فهم القرآن يعد مطلباً شرعياً وعقلياً تفرضه دواع كثيرة ، ذلك أن القرآن الكريم أنزله الله تعالى لهداية البشرية في كل زمان و مكان ، ومشكلات البشر تختلف باختلاف عاداتهم وتقاليدهم وبيئاتهم التي يعيشون فيها ، و هو ما يفرض على علماء المسلمين النظر في هذا القرآن الذي هو منهج حياتهم قصد إيجاد حلول نافعة ولا شك أن هذا يمثل نوعاً من التجديد ، كما أن القرآن الكريم قد حض في كثير من آياته على السير في الأرض و التدبر في الكون مع النظر في آثار الأمم و الحضارات السابقة ، و الكل يعتبر ويتدبر ويتفكر بحسب ما أوتي من الطاقات ، ولا شك أن في هذا اختلافاً بينا بين الناس وفي هذا نمط من التجديد بين معتبر و آخر³.

فكل عصر يستطيع أن يستنبط قضايا ومسائل تعينه على اجتياز المأزق الحضاري الذي يجد نفسه فيه فعلى ذلك يمكننا أن نقول إن تفسير القرآن الكريم يمكن أن يتجدد بكل عصر في ضوء المستوى الحضاري الذي وصل إليه أهل ذلك العصر والزمان . ولا يمكن أن نوقف تفسير كلام الله تعالى عند عصر معين . لأننا إن زعمنا ذلك ، طعنا في خلود القرآن وخاتمته وعالميته

¹ عبد الرحمن الحاج إبراهيم ، المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله، رسالة المسجد، العدد الأول، جمادى الثانية 1424هـ/ أوت 2003م ، ص11.

² جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد في التفسير ، مادة و منهاجا ، ص3

³ المرجع نفسه ، ص7

وهيمنتته¹ ، و عليه فان المسلمين اليوم أحوج ما يكونوا إلى إحداث نقله هائلة في علم التفسير لأن التحديات التي تواجههم كبيرة و خطيرة ، و كل ذلك بقصد مواكبة المسلمين لمقتضيات العصر و متطلبات الحضارة و خاصة الغربية² ، والتي فيها ما ينفع الإنسانية و لا يتعارض مع تعاليم الإسلام .

1 جمال أبو حسان (دكتور) ، التجديد قي التفسير ، مادة و منهاجا ، ص9

2 عبد الله الخطيب ، الجمع بين قراءتي الوحي و الكون ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية و الإدارية

، العدد 1، 2003 ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر ، ص 2